

التماثيل المتحركة والمصوتة بأنواع الخيل

من بديع التماثيل المقرونة بحيلة صناعية صورة جارية لها شعر ، تدور على لولب وإحدى رجلها مرفوعة ، وفي يدها طاقة ريحان ، فإذا وقفت حذاء إنسان شرب ، ثم ينقرها فتدور . رآها المتنبي في مجلس بدر بن عمار ، فقال فيها مرتجلاً :

وجارية شعرها شطرها محكمة نافذ أمرها
تدور على يدها طاقة تضمّنها مكرهاً شبرها
فإن أسكرتنا فني جهلها بما فعلته بنا عذرها (٢٧٤)
وقال فيها أيضاً :

جارية ما لجسمها روح في القلب من حبها تباريح
في يدها طاقة تشير بها لكل طيب من طيبها ريح
سأشرب الكأس عن إشارتها ودمع عيني في الخد مسفوح (٢١٥)
وقال أيضاً وقد شرب ودارت فوقفت حذاء بدر :

يا ذا المعالي ومعدن الأدب سيدنا وابن سيد العرب
أنت عليم بكل معجزة ولو سألنا سواك لم يُجب
أهذه قابلتك راقصة أم رفعت رجلها من التعب (٢٧٦)
وقال فيها أيضاً :

إن الأمير أدام الله دولته تفاخر كسيت فخراً به مُضر
في الشرب جارية من تحتها خشب ما كان والدّها جن ولا بشر
قامت على فرد رجل من مهابته وليس تعقل ما تأتي وما تذر (٢٧٧)
وقال وقد سقطت في دورانها :

ما نقلت في مشيئة قدما ولا اشتكت من دوارها ألما
لم أر شخصاً من قبل رؤيتها يفعل أفعالها — وما عزمها

فلا تلهـا على تواقعها أطربها أن رأنتك مبتسما^(٢٧٨)
وأمر بدر بأن ترفع فقال :

وذا غدا لا عيب فيها سوى أن ليس تصلح للعناق
إذا هجرت فعن غير اجتناب وإن زارت فعن غير اشتياق
أمرت بأن تُشال ففارقتنا ولم تألم لحـادة الفراق^(٢٧٩)

وفي بعض نسخ « ديوان المتنبي » أنه وصفها بشعر كثير وهجاها بمثله ، ولكنه لم يحفظ .
وأبدع من هذه الصناعة ما كان اتخذ في داره أحد أبناء الرؤساء الكتاب وهو بيت
لمروحة الخيش ، في وسطه بركة مثمرة قد نصب فيها صومعة للحركات مربعة ، لها أربعة
منابر مجوفة في جوانبها الأربعة ، يتوسطها عمود عال في صورة الأسطوانة ، ينزل إليها الماء
من حوض مشرف مرفوع بناؤه على سماء البيت ، مصوب إليه بالحركات حتى إذا استقر
الماء في قرار البركة فاض منه ثم من الجوانب الأربعة فيضاً يعلو حتى يكاد بفضل قوته
يلحق سماء البيت . وقد عملت له تماثيل من الصفر يسمى كل واحد باسم ، فيؤخذ التمثال
فيركب على ذلك العمود الأوسط ، ثم يدار بحركة من الحركات فيرش الماء على سائر من
يحويه البيت أو يقاربه . فمن التماثيل صورة تسمى الخركاء* ، أي الخيمة إذا نصبت وأدير
تشكل الماء عليها بشكل الخيمة وبقي معلقاً ولا يسيل حتى تنقطع حركتها وتوضع على
جوانبها الشموع اللطاف فتدور بها ولا تطفئها . ومنها صورة تسمى العروس يجعل لها ذلك
العمود كالكرسي ، فتدور راقصة عليه ، وتوصل في دورانها الماء إلى رأسها بيديها .
ومنها صورة تسمى الجمل ، صورت على هيئته ، إذا نصبت سارت مسيره بالماء المحرك
لها . ومنها صورة سموها الطنبلنب[†] في هيئة الرجل الناشب^{††} ، إذا نصبت فأريد بعض
حاضري البيت بالبلل صوب سهماً إليه فأصابه ، فكيف هرول لينجو منه كان الماء
تابعاً له ما دام في عرصة البيت . وكان صاحب البيت صديقاً لمهيار الديلمي الشاعر ، وسأله

(*) كذا بالأصل ، والكلمة فارسية بكاف كالجيم المصرية وبالحاء في آخرها .

(†) ورد مضبوطاً بالقلم بفتحة فسكون ففتحين فسكون في نسخة قديمة تغلب عليها الصحة من

« ديوان ابن الرومي » ، والظاهر أنه اسم مخترع .

(††) الناشب الرامي بالنشاب .

وصفه ، فوصفه بقصيدة طويلة أحسن فيها ما شاء (٢٨٠) ، مطلعها :

نديمى وما الناس إلا السكارى أدرها ودعنى غداً والخمرا
يقول فيها فى وصف الخيمة :

فمنهن خركاء منصوبة على تلمة حملتها اغترارا
تولى تجارتها فوقها من الماء سمح كريم نجارا
إذا ما أدير لها مرة لتعجب جادت فدارت مرارا
لها آية لم تكن قبلها ولكن ظهرنا عليها اقتدارا
ترى ظلها جامداً مائماً وتحمل ضدين ماءً وناراً

وقال فى وصف العروس :

ومثل العروس عروس تديم يديها على منكبيها* النشارا
إذا ما جلوها أبت حشمة بكريسيها أن تطيق القرارا

وقال فى وصف الجمل :

وكالظبي يُظلم باسم الجمل ميطعى إباء ويغضى اغتفارا
ويزبد فوه لغاماً إذا تفرق عن شفثيه استطارا
يسير رويّاً إذا ما غدت كبود المطايا عطاشا حرارا

وقال فى وصف الطنبليز :

ولولا الذى فعل الطنبليز لقد أنجد المدح فيه وغارا
ولمكنه خافى للذما م جاورته فأساء الجوارا
بغاني فلم أنج مع نهضتى ورحب خطائى منه فرارا

إلى أن يقول مازحاً صاحب البيت بغرامة ما بله الطنبليز من ثيابه :

فأردى ردائى وجاءت إليـك دُرّاعى تبغى منك ثارا
قتيلى لديك فلا يذهبن عليك وماء ثيائى حباراً†

(*) الأظهر بداها .

(†) يقال ذهب دمه جُبَّاراً بضم أوله أى هدرأ .

وشرب يوما أبو الحسن بن نزار مع أبي جعفر بن سعيد في جنة بزاوية غرناطة ،
وفيهما صهر يج ماء قد أحرق به شجر النارج والليمون وعليه أنبوب ماء تتحرك به صورة
جارية راقصة بسيف ، وبه أيضاً طيفور* رخام يجعل الماء على صورة خباء ، فقال
أبو جعفر يصف الراقصة :

وراقصة ليست تحرك دون أن يحركها سيف من الماء مصلت
يدور بها كرهاً فتنضى صوارما عليه فلا تنغي ولا هو يهت
إذا هي دارت سرعة خلت أنها إلى كل وجه في الرياض تلتفت

وقال ابن نزار في خباء الماء :

رأيت خباء الماء ترسل ماءها فنازعها هب الرياح رداها[†]
تطاوعه طوراً وتعصيه تارة كراقصة حلت وضمت قباها
وقد قابلت خير الأنام فلم تزل لديه من العلياء تبدى حياءها^(٢٨١)

يريد بخير الأنام أبا جعفر بن سعيد !

وفي « أخبار مصر » لابن ميسر أن الأفضل ابن أمير الجيوش وزير الفاطميين « كان له
مجلس يجلس فيه للشرب ، فيه صور ثمانى جوار متقابلات : أربع منهن بيض من كافور ،
وأربع سود من عنبر ، قيام في المجلس عليهن أنخر الثياب وأثمن الحلى ، بأيديهن أحسن
الجواهر ، فإذا دخل من باب المجلس ووطئ العتبة نكسن رءوسهن خدمة له ، فإذا
جلس في صدر المجلس استوين قائمات »^(٢٨٢) . قلنا الظاهر أن العتبة كانت متحركة
وتحتها أسلاك متصلة بالجوارى ، فإذا وطئت جذبت رءوسهن بحيلة مدبرة ، وأبقتهما منكسة
هنيئة ريثما يصل الرجل إلى صدر المجلس .

وأنشد ابن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء » لسديد الدين الشيبانى مما كتبه على

(*) المراد بالطيفور هنا الطبق من الرخام كالقصبة يكون في الفوارات ، والأصل فيه طبق
أجوف قعير يرد ذكره في الشعر المولد وعبارات بعض المؤرخين كابن بطوطة والمقرئى وغيرها
والكلام على لفظه لا يحتمله المقام .
(†) أنت الحباء لأنه ذهب به إلى معنى الحيمة أو المظلة .

كأس في وسطها صورة طائر على قبة مخرمة إذا وضع الماء في الكأس دار وصفر بحيلة محركة ، ومن وقف بإزائه حكم عليه بالشرب ، فإذا شرب وترك شيئاً صفر الطائر ولا ينقطع صفيره إلا إذا لم يبق في الكأس شيء .

أنا طائر في هيئة الزرور مستحسن التكوين والتصوير
فاشرب على نغمى سلاف مدامة صرفاً تنير حنادس الديجور
صفراء تلمع في الكؤوس كأنها نار الكليم بدت بأعلى الطور
وإذا تخلف من شرابك درهم في الكأس نمّ به عليك صفيري^(٢٨٣)

وقد أورد النواجي هذه الأبيات في « حلبة الكيت » ، وأعقبها بقوله : « قلت : وإنما كتبت هذه الأبيات لغرابة هذه الكأس ، وإلا فهي ليست بطائفة ، وقد رأيت شيئاً يشبه هذه الكأس ، وهي قلة ماء إذا شرب منها أحد وفرغ ، صفرت صغيراً طويلاً ، وكان الهواء ينحبس فيها بنزول الماء فيصعد الصغير لنكتة مصنوعة فيها . وهذه الكأس كذلك ، والدليل عليه أنه لا يصفر إذا لم يبق شيء في الكأس لعدم ملاقة الحر الهواء »^(٢٨٤) .

ومن التماثيل المتحركة تماثيل الساعة المائية التي أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الملك شلمان^(٢٨٥) ، وكانت متقنة الصنعة إلى الغاية ؛ تقسم الوقت إلى اثنتي عشرة ساعة ، ولها كرات صغيرة من الصُّفَر ، كلما انتهت ساعة سقط منها بعدد تلك الساعة على صنّج قد وضع تحتها فيرن . وذكر بعضهم أنه كان فيها فرسان بعدد تلك الكرات ، يخرجون من اثنتي عشرة كوة ، وأنها لما وصلت إلى فرنسا ، أكبر الفرنسيين أمرها ، وكان لها عندهم موقع إعجاب عظيم . انتهى ، من مجلة الضياء [١ : ٦١٩] *

ومن هذا النوع تماثيل الساعة التي كانت بباب الساعات من الجامع الأموي بدمشق ، ذكرها النعيمي في « تنبيه الطالب والدارس »^(٢٨٦) فقال : « عليها عصافير من نحاس ،

(*) ذكرها أيضاً بما لا يخرج عن هذا الوصف العلامة أحمد فارس في « كشف الخبايا عن فنون أوربّا » ، نقلاً عن كتاب « المخترعات العجيبة » . وقال : إن صور الفرسان كانت تخرج كلما سقطت الكرات ، فتدور على صفحة الساعة ، وأنها لما وصلت أورثت رجال الديوان حيرة وذهولاً . ونقل قبل ذلك عن قنبر أنها كانت أول ساعة دقاقة عرفت في فرنسا .

ووجه حية من نحاس ، وغراب ؛ فإذا تمت الساعة خرجت الحية وصفرت العصفير وصاح الغراب ، وسقطت حصاة » . قلنا باب الساعات هذا هو المسمى بباب جيرون ، وقد وصف ابن جبير في « رحلته » ساعة كانت فيه بما يخالف هذا الوصف ، والراجح أنها ساعة أخرى ، ونص ما ذكره : « وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ، ولها هيئة طاق كبير مستدير ، فيه طيقان صُفر ، قد فُتحت أبواباً صفاراً على عدد ساعات النهار ، ودبرت تديراً هندسياً ؛ فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صُفر من فمى بازيين مصورين من صُفر ، قائمين على طاسين من صُفر ، تحت كل واحد منهما ، أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب ، والثاني تحت آخرها . والطاسان مثقوبتان ، فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار إلى الغرفة ، وتبصر البازيين يمدان أعناقهما بالبندقتين إلى الطاسين ، ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحراً ، وعند وقوع البندقتين في الطاسين يسمع لهما دوى ، وينفلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لا يزال كذلك عند انقضاء ساعة من النهار حتى تنفلق الأبواب كلها وتنقضي الساعات ، ثم تعود إلى حالها الأول . ولها بالليل تديير آخر ، وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة ، وتعرض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة ، مدبر ذلك كله منها خاف الطيقان المذكورة ، وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة ؛ فإذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح ، وفاض على الدائرة أمامها شعاعها ، فلاحت للأبصار دائرة محمرة ؛ ثم انتقل ذلك إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمّر الدوائر كلها . وقد وكل بها في الغرفة متفقدٌ لحالها دَرَبٌ بشأنها وانتقالها ، يعيد فتح الأبواب وصرف الصنج إلى موضعها وهي التي يسميها الناس المنجانة » (٢٨٧) * . انتهى .

ومثلها الساعة التي كانت عند سلطان تلمسان أبي حمو ، وقد وصفها صاحب « نفع الطيب » بما نصه : « لها أبواب مجوفة على عدد ساعات الليل الزمانية ؛ ففهما مضت ساعة

(*) نقل البدرى في « نزهة الأنام في محاسن الشام » وصف هذه الساعة عن هذه الرحلة ، فأورده مختصراً عما فيها ، وجاء في النسخة : « الميقاتية » بدل المنجانة .

وقع النقر بقدر حسابها ، وفتح عند ذلك باب من أبوابها ، وبرزت منه جارية صوّرت في أحسن صورة وفي يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة ، فتضعها بين يدي السلطان بلطافة ، ويسراها على فهمها كالمؤدية بالمبايعة حقّ الخلافة » (٢٨٨) .

ولما بنى المستنصر العباسي المدرسة المستنصرية ببغداد أنشأ مقابلهما إيواناً جعله داراً للمرضى ، ومدرسة للطب ، وأقام فيه ساعة من هذا القبيل غريبة ، رأينا وصفها في حوادث سنة ٦٣٣ من جزء قديم في التاريخ عندنا لم نعلم اسمه ، ولا اسم مؤلفه ، ونص عبارته : « وفيها تكامل بناء الإيوان الذي أنشئ مقابل المدرسة المستنصرية ، وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب ، وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب ، ويقصده المرضى فيداويهم ، وبنى في حائط هذه الصفة دائرة ، وصورت فيها صورة الفلك ، وجعلت فيها طاقات لطاف ، لها أبواب لطيفة ، وفي الدائرة أزان من ذهب في طاسين من ذهب ووراءها بندقتان من شبه لا يدركهما الناظر ، فعند مضي كل ساعة ينفتح فم البازين ، ويقع منهما البندقتان ، وكلما سقطت بندقة انفتح باب من أبواب تلك الطاقات ، والباب مذهب ، فيصير حينئذ مفضّضاً ، وإذا وقعت البندقتان في الطاسين تذهبان إلى مواضعهما ، ثم تطلع أقمار من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية ، وتدور مع دورانها ، وتغيب مع غيوبتها ، فإذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها ، كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر . ثم يبتدئ في الدائرة الأخرى إلى انقضاء الليل وطلوع الشمس ، فتعلم بذلك أوقات الصلوات » انتهى . ثم أورد قول أحد الشعراء فيها :

يأيها المنصور يا مالكا	برأيه صعب الليالى يهون
شيدت لله ورضوانه	أشرف بنيان يروق العيون
إيوان حسن وضعه مدهش	يحار في منظره الناظرون
صوّر فيه فلك دائر	والشمس تجري ما لها من سكون
دائرة من لازورد حكت	نقطة تبر فيه سر مصون*

فتلك في الشكل وهذى معاً كمثل هاء ركبت وسط نون
ثم وقعت في حوادث سنة ٦٨٣ من هذا الجزء على وفاة نور الدين على بن ثعلب
الساعاتي ، وذكر عنه أنه كان يتولى تدبير الساعات التي تبجاء المستنصرية ، وأن مولده
كان سنة ٦٠١ .

وفي الكلام على مالطة من « معجم البلدان » لياقوت و « آثار البلاد » للقزويني
أن أحد المهندسين صنع لصاحبها القائد يحيى صورة تعرف منها أوقات النهار بالصنج ، فقال
فيها بعض الشعراء :

جارية ترمى الصنج
وأجاز شاعر آخر هذا المصراع بقوله :

بها النفوس تتهيج
كأن من أحكمها
إلى السماء قد عرج
فطالع الأفلاك عن سر البروج والدرج^(٢٨٩)

ووصف ابن بطوطة في « رحلته » ساعة أخرى كانت بدمشق ليست من هذا النوع
نذكرها بمناسبة ذكر هذه الساعات قال : « وعن يمين الخارج من باب جيرون ، وهو
باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير ، فيه طيقان صغار مفتحة لها أبواب على عدد
ساعات النهار . والأبواب مصبوغ باطنها بالخضرة ، وظاهرها بالصفرة ، فإذا ذهبت ساعة
من النهار انقلب الباطن الأخضر ظاهراً ، والظاهر الأصفر باطناً . ويقال إن بداخل الغرفة
من يتولى قلبها بيده عند مضي الساعات »^(٢٩٠) .

وقال السخاوي في حوادث سنة ٨٤٥ من « التبر المسبوك » : « وحضر في رجب من
الإسكندرية الرماة ومعهم صفة قلعة من خشب فقدموها إلى السلطان ورموا عليها بحضرته
بقوس الرجل فخرج منها صورة شخص بسيف وترس ، فرمى عليه عبد صغير ، ف ضرب رقبتة
بسهم ، فأمر السلطان بأن يخلع عليهم ، ورسم لهم بجامكية* وأن يعودوا لبلدهم »^(٢٩١) .

(*) لفظة فارسية أصلها جامكى ، ومعناها الوظيفة تنقد على القيام بعمل ، ثم غلب استعمالها بد
ذلك فيما ينقد من الوظائف مشاهرة ، وقد استعمل العرب في معناها الأَطاع والأَرْزاق جمع طمع ورزق .

وحكى ابن إياس في حوادث سنة ٨٩١ أن السلطان أمر بقتل شخص فأنزله من القلعة مستراً على لعبة من الخشب غريبة الهيئة ، تجر بالعجل ، ولها حركات تدور بها ، غير أنه لم يفصح عنها ، أكانت من نوع التماثيل أم من غيرها^(٢٩٢) .

وقال في موضع آخر : « إن ملوك اليمن أهدت إلى الملك الكامل محمد شمعديناً* من نحاس يخرج منه عند طلوع الفجر شخص من نحاس ، لطيف الخلقة يخاطب الملك قائلاً : « صبحك الله بالخير ، قد طلع الفجر » أو صغيراً هذا معناه . وكان هذا الشمعدان من صنعة الميقاتية ، فأقام في حواصل الملوك إلى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم فقد^(٢٩٣) انتهى . قلنا الأرجح أنه كان صغيراً في معنى تحية الصباح ، فإننا لم نقف على أنهم استطاعوا حفظ الصوت وترجيعة ، كما تيسر الآن في الآلة المعروفة بالحاكى ، وليس ما نسب إلى هذا التمثال من النطق إلا من المبالغات التي تحيط بكل خبر غريب .

وقد حاول العلامة القرافي صنع تمثال ناطق تحقيقاً لهذا الزعم ، فلم يستطع ، واعترف بعجزه على ما حكاه ابن طولون الحنفى الصالحى في رسالته « قطرات الدمع » ، فيما ورد في الشمع^(٢٩٤) ، ونص عبارته : « وعن الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي قال في « شرح المحصول »[†] : بلغنى أن الملك الكامل وُضع له شمعدينان كلما مضى من الليل ساعة افتتح باب منه ، وخرج منه شخص يقف في خدمة الملك ، فإذا انقضت عشر ساعات طلع الشخص على أعلى الشمعدان ، وقال : صبح الله السلطان بالسعادة ، فيعلم أن الفجر قد طلع . قال : وعلمت أنا هذا الشمعدان ، وزدت فيه أن الشمعة يتغير لونها في كل ساعة ، وفيه أسد تتغير عيافه من السواد الشديد إلى البياض الشديد إلى الحمرة الشديدة ، في كل ساعة لها لون ، فإذا طلع الفجر طلع شخص على أعلى الشمعدان ، وإصبعه في أذنه يشير إلى الأذان ، غير أنى عجزت عن صنعة الكلام^(٢٩٥) .

ثم نقل عن هذا الإمام أيضاً خبر شجرة من فضة كانت عند سلطان تلمسان ، عليها تماثيل لأصناف كثيرة من الطير تحاكي صغير سائر هذه الأصناف بصناعة هندسية . قال :

(*) يرادفه في العربية المنارة والمائلة .

(†) كان القرافي المذكور من أئمة المالكية بمصر وتوفى سنة ٦٨٤ ودفن بالقرافة ، وله المؤلفات الممتعة في الفقه والأصول وغيرها ، منها شرحه على « المحصول في أصول الفقه » للفخر الرازى .

وأظن ذلك كوراً تحت الأرض ، إذا نفخ فيه وجرت الريح في المواضع المتصلة بأفواه تلك الطيور صاح كل طير بلغته ، وصارت لها فجة عظيمة . أخبرني بذلك من سمع هذه الطيور بحضرة السلطان بتلمسان ، وأمر هذه الشجرة مشهور ببلاد المغرب .

وقد تقدم شيء عن التماثيل المصوتة بقوة الريح أو الماء جاء ذكره عرضاً في الفصول الماضية كتماثيل الأسود بقصر عُمدان ، وطيور الشجرة التي عملها المتوكل ، والتي عملها المقتدر من الذهب والفضة ، وكصناير حمام شرف الدين ببغداد المتخذة على هيئة الطير ، وتمثال الرجل النافخ في البوق في إحدى جنان إشبيلية .

فترى من ذلك أنهم لم يكتفوا بتصوير التماثيل بل احتالوا على تحريك بعضها بقوة الماء أو اللوالب المدبرة بصنوف الحيل ، وجعلوا على أفواهها الصَّفَّارات ، تدفع فيها الريح أو الماء ، فتجأكي صوت ذى الروح . ولولا قصرنا الكلام على التصوير لأضنا فيما طالت فيه أيديهم من الصنائع في البناء والنحت والنجر والنسج وما أحكموه من الآلات الفلكية وغيرها ، وما احتالوا به على جر الأثقال ، ورفع الماء وتسخييره في إدارة الساعات والدواليب وما شاكلها ، بله ما أتقنوه من آلات القتال كالمكاحل والمدافع وقوارير النفط والدبابات والكباش الناطحة للحصون .

ومن الأدلة المثبتة لاشتغالهم بهذا الفن ما ذكره في كتب الحيل ، أى علم الآلات ، وقد ذهب أكثرها ، وعندنا منها « كتاب الحيل الروحانية المائية » المطبوع ببباريس^(٢٩٦) ، و « كتاب الحيل » لبني موسى بن شاكر^(٢٩٧) ، و « كتاب عمل الساعات » لرضوان بن محمد الخراساني^(٢٩٨) ، و « كتاب الحيل الجامع بين العلم والعمل » لأبي العز بن إسماعيل بن الرزاز الجزري^(٢٩٩) ، وفيها صفة عمل هذه التماثيل ، وما يحتال به على تحريك أجزائها وإخراج الأصوات من أفواهها على اختلاف أنواعها وأجرامها من صور للإنس أو الحيوان أو الطير ما كان كبيراً للبرك والمجالس ونحوها ، أو صغيراً للأقداح والأواني . وأغربها ما كانوا يقيمونه على صور السقا في مجالس الشراب والندماء المشاركون لمنادمهم بشرب صبايات الكؤوس أو الجوارى العازقات في الزوارق والملاحين الضارين بالمجازيف وغير ذلك مما تراه مشروحا وممثلا في هذه الكتب . قال ابن الرزاز في كتابه المذكور : « كلّفني من

لم أستطع مخالفته أن أعمل زورقاً عليه صور بعض ندمائه وصور جماعة من مطربات مجلسه ، وحيث لم أجد سبيلاً إلى إدخال شيء من الماء إلى الزورق ، ولا إخراج شيء منه عملت ما أصفه ، وهو زورق لطيف متخذ من خشب ، وأعلاه مطبق وعلى كوثله* دكة عليها قبة وعلى الدكة صورة الملك جالساً وعلى يمينه حاجبه قائماً دون الدكة ، وعن شماله حامل السلاح ، وبين يديه غلام في يده قدح كأنه يسقي ، ودون ذلك جماعة من الندماء جلوس عن اليمين وعن الشمال ، وبين أيديهم أواني الشراب ، وعلى كوثل الزورق دكة قبالة الملك عليها زامرة ودفيئة وجَنْكِيَّة ثم دَفِيَّة** ، ووراء الدكة والجوارى ملاح قائم بيده سكان† الزورق ، وعلى حافة الزورق ملاحان بأيديهما مجذافان . فيوضع الزورق على سطح الماء في بركة كبيرة فلا يكاد يسكن بل يتحرك ، وكلما تحرك فابت الملاحين يتحركون لأنهم على محاور†† والمجاذيف تحركهم بحركتهما في الماء ؛ فإذا مضى نصف ساعة تزم الزامرة ، وتلعب الجوارى بالملاهي بأصوات يسمعهما من حضر ، ثم يسكن ، ثم يُعدن الزمر واللعب بعد نصف ساعة كما جرت الحال في المرة الأولى . انتهى ببعض اختصار . ثم بين صفة عمل هذا الزورق وأجزائه ، وصور صورته في الكتاب . وهو مثال أوردناه منه للدلالة على سائر ما فيه .

(*) الكوثل بفتح فسكون : مؤخر السفينة .

(**) الدفة : الضاربة على الدف ، وكذلك الجنكية : الضاربة على الجنك بفتح فسكون ، وهو

آلة للهو .

(†) السكان بضم أوله وتشديد الكاف : ذنب السفينة التي تعدل به ، وهو المسمى عند عامة

مصر بالدفة .

(††) جمع محور بكسر فسكون ، للمشيء الذي يدار عليه . وقد ذكر المؤلف في صفة العمل أنه

يثبت في قديم الملاح ، وأنه محرك على طرفيه في مكنتين ثابتتين في صدر الزورق فيجعله يميل له قدامه وورائه فقط .